خطبة بعنوان

[(تنبيه أولي الهمم إلى إشارات وفوائد من حديث:"يوشك أن تداعى عليكم الأمم")]

الخطبة الأولى/

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }

{يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا}.

{يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما}

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى ،وخير الهدي هدي نبينا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة،وكل ضلالة في النار.

أما بعد:

فقد روى الإمام أحمد وأبو داود عنثَوْبَانَ،رضي الله عنه، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **" يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا "**. فَقَالَ قَائِلٌ : وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَ : **" بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ**

مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ ". فَقَالَ قَائِلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ ؟ قَالَ : **" حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ "**.

وفي رواية عند أحمد:" **يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ من كل أفق"**

وقبل أن نغوص في معاني عبارات الحديث، ونستخرج الإشارات منه ونستنبط فوائده،ونبين أسراره، نحب أن نذكر معناه الإجمالي، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم الذي **((لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى))**،أخبر أنه سيحصل هذا التداعي من أمم الكفر على المسلمين، أي يدعو بعضهم بعضا ضد المسلمين في حال ضعفهم وبعدهم عن دينهم، وحال كونهم غثائية،وشبههم بغثاء السيل، مما جعل الكفار لا يهابونهم ،في الوقت الذي يكون اهتمامهم بالدنيا،وعدم تمسكهم بالدين،وعدم الاستعداد للموت فما بعده، وهذا الحديث عَلَم من أعلام النبوة ،ومعجزة من معجزاته صلى الله عليه وسلم إذ حصل ما أخبر،لكن الله تعالى وعد رسوله أنهم لن يتسلطوا على المسلمين فيستأصلوهم ويستبيحوا بيضتهم،هذا لكن يكون،وإنما سيحصل لهم هزات وانتكاسات وانهزام أمام الأعداء بسبب بعدهم عن دينهم وتركهم لكتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم،وستكون العاقبة والعز والتمكين للمؤمنين،لكن في الوقت الذي يرجعون إلى دينهم،كما سنشير إلى ذلك بذكر بعض الأحاديث في خطبتنا هذه إن شاء الله تعالى.

فقوله صلى الله عليه وسلم:" **:" يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ من كل أفق"**

فيه إشارة إلى أن ملل الكفر مجتمعون على الإسلام والمسلمين،وإن اختلفوا في الديانات والفرق والاتجاهات،كما أخبر الله سبحانه وتعالى عن أهل الكتاب فقال:**{تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ }**[سورة الحشر : 14] لكنهم متفقون في عداوة المسلمين كما في حديث ثوبان المتقدم،فيجب على المسلمين الحذر منهم،ولا يجوز إحسان الظن بهم،فمن ظن أنهم يريدون السلام أو يراعون حقوق الإنسان فإنه مغفل،ومن ظن أنهم يريدون للإسلام والمسلمين خيرا فهو غبي،قال الله في كتابه الكريم**{ مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ }**[سورة البقرة : 105] بل يوجد من غوغا المسلمين والسذج منهم من يدافع عن الكفار ويفضلهم على المسلمين،فهذا الصنف على خطر عظيم يُخشى عليه

من الردة والعياذ بالله؛لأنه حادّ لله ورسوله،حيث كفرهم الله في كتابه وفي سنة نبيه وذمهم وحذر منهم ومن صفاتهم ،وذكر أنهم شر الخليقة،وأخبر بأنهم وقود النار،قال تعالى: **{ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ }**[سورة البينة : 6]

-**وقوله(يوشك أن تداعى عليكم الأمم)**أي:يقرب أن يدعو بعضهم بعضا عليكم ،وهذا لا يكون إلا بعد أن يفرقوهم إلى دويلات صغيرة،وأحزاب متفرقة،ثم يغزوهم بالغزو الفكري،والعقائد الفاسدة،والأفكار الغربية،وإدخال المعاصي إليهم ،وإشغالهم بالمسلسلات وملاعب الكرة،فإذا صاروا لقمة صائغة تداعوا عليهم،بحجة مكافحة الإرهاب كما هو واقع المسلمين اليوم فالله المستعان.

-**قال صلى الله عليه وسلم:" يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا "** شبههم بقصعة الطعام وهي الصحفة؛ لأنهم يصيرون لقمة صائغة حال ضعفهم وتفرقهم وانشغالهم بأنفسهم،وفي هذا إشارة أن في بلاد المسلمين ثروات معدنية وبترولية وسمكية وحيوانية يسيل لعاب الكافرين عليها فيتحينون الفرصة للانقضاض عليها،لكن لن يتسلطوا عليها إلا إذا نقض المسلمون عهد الله وعهد رسوله،كما روى ابن ماجه عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقَالَ : **" يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ** : "وذكر منها:**" وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ"**

ويكون هذا التداعي بأساليب ماكرة،إما عن طريق التحريش،وأما عن طريق محاربة الإرهاب كما تقدم،والقصد هو محاربة المتمسكين بدينهم وبسنة نبيهم ،وترك المنافقين الموالين لهم،ونحو ذلك من مكر الكفار وحقدهم على المسلمين.

-**"فَقَالَ قَائِلٌ : وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَ : " بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ"** تعجب الصحابة رضوان الله عليهم،كيف يتسلط الكفار على المسلمين؟!بعد أن كانت لهم الغلبة والمنعة والعز والتمكين،فتساءلوا ما هو السبب في ذلك،فتبادر إلى ذهن أحدهم أن السبب هو قلة المسلمين في هذا الزمان،فقال يارسول الله: **وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ ؟** يظن أن القلة سبب للهزيمة وأن الكثرة سبب

للنصر،فرد النبي صلى الله عليه وسلم على هذا التساؤل قائلا: **"بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ"** بمعنى أن القلة ليست سببا للذلة، ولا الكثرة سببا للعزة،إنما النصر من عند الله لا بالعدد ولا بالعتاد،وللنصر أسباب منها الإيمان والتوحيد والطاعات، فقد نصر الله طالوت وجنودة وهم قلة،على جالوت وجنوده وهم كثرة،فخرج طالوت بالجنود وهم قليل،فخالف كثير منهم أمر قائدهم فشربوا من النهر ولم يبقَ إلا الأقل بنحو عدد المسلمين في غزوة بدرفنصرهم الله وكسر شوكة الكافرين،قال الله في كتابه الكريم: **{ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (249) وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (250) فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (251) }**[سورة البقرة : 249 إلى 251]

ونصر الله المسلمين في غزوة بدر على المشركين وهم أضعاف أضعافهم،وقد خرج المسلمون وهم غير مستعدين للحرب،إنما خرجوا لأخذ القافلة فقط،بينما خرج المشركون بخيلهم ورجلهم وقوتهم وفرسانهم،يشربون الخمور ويأكلون الجزور، يريدون استئصال المسلمين،فكانت الأخرى إذ مكن الله المسلمين من رقابهم فقتلوا منهم سبعين رجلا من صناديدهم وأسروا سبعين آخرين،قال الله : **{ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ (9) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (10) إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ (11) إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (12) }**[سورة الأنفال : 9 إلى 12]

وقال سبحانه: { فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (17) ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ (18) }[سورة الأنفال : 17 إلى 18]

إذن ليست الكثرة سببا للنصر، فقد هُزم المسلمون في غزوة حنين في أول المعركة بسبب إعجابهم بكثرتهم،فولوا هاربين ولم يبقَ مع النبي صلى الله عليه وسلم إلا نحو مائة رجل،ثم نادى العباس رضي الله عنه أصحاب السمرة فرجعوا ومالوا على المشركين ميلة واحدة، ثم أيدهم الله بجنوده التي لا تقهر فهزموا المشركين،قال عز مِن قائل: { لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ (25) ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (26) }[سورة التوبة : 25 إلى 26]

فليس النصر بالكثرة ياعباد الله إنما النصر من عند الله بالإيمان والتوحيد والتمسك بالكتاب والسنة،ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه حينما سألوه عن سبب تداعي الأمم على المسلمين:" وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَ : **" بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ"**

المسلمون اليوم كثير يبلغون نحو المليارين،ومع هذا هم في ذلة وضعف أمام الكفار،وكأن النبي صلى الله عليه وسلم يشير إلى زماننا هذا، حيث تسلط الأعداء على المسلمين وهم كثير،وسبب تسلط الكفار عليهم أنهم غثائية **"وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ"** وغثاء السيل هو: الذي يأتي في مقدمة السيل من القمائم والأعواد والزبد والخرق التي لا ينتفع بها الناس،وإنما يرمي بها السيل يسرة ويمنة،فهؤلاء هم الغثائية الذين لا يُرجى منهم نصرة دين الله،بل هم السبب في انهزام المسلمين وذلهم أمام أعدائهم ،وهم الذين لا هَمَّ لهم إلا بطونهم وفروجهم وشهواتهم،أناس متفرقون متحزبون،يتابعون الموظات الغربية،وملاعب الكرة، والنوادي والمسلسلات،وتركوا المساجد وضيعوا الصلوات ،لايهمهم نصرة دين الله ولا إعلاء كلمة الله،الكثير منهم حول البدع والمحدثات،والمظاهرات والاعتصامات،التي هي إحياء لعادات الكفار والتشبه بهم قال الطيبي - رحمه الله -: (" غثاء السيل ") : هو ما يحمله السيل من زبد ووسخ، شبههم به لقلة شجاعتهم، ودناءة قدرهم، وخفة

أحلامهم، وخلاصته: ولكنكم تكونون متفرقين، ضعيفي الحال، خفيفي البال، مشتتي الآمال"ا.ه

وهذا هو الغالب على الشعوب الإسلامية إلا من رحم الله، ولذلك تكالب عليهم الأعداء وتداعوا عليهم، واستذلوهم ولم يهابوهم كما كانوا يهابون من كان قبلهم،وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بحال هذه الأمة التي يتكالب عليها الأعداء قبل أربعة عشر قرنا،بسبب الغثائية التي في أوساطهم،وإن وجد فيهم صالحون وموحدون ومتمسكون بدينهم لكنهم قليل،والغثائيون أكثرفتأتي المصائب بسببهم فتعم الجميع، قال تعالى: { **وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** }[سورة الأنفال : 25]

-قال صلى الله عليه وسلم:" **وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ**" أقسم النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث بدليل اللام الموطئة للقسم "**وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ**" أي فلا توجد في صدور أعدائكم هيبة منكم، كما كانوا يهابون سلفكم،والسبب ماسمعتم وهو ذنوبهم وتفلتهم عن دينهم.

ويستفاد من هذا أن تمسك المسلمين بدينهم سبب لإرعاب الكافرين ولو لم يحاربونهم،فإنهم لا يزالون يخافون منهم،ولذلك يسعى الكفار في إبعاد المسلمين عن دينهم،وغزوهم بالأفكار الدخيلة،والتطورات العصرية المخالفة للكتاب والسنة،فتقبلها كثير من المسلمين،ومن لم يقبلها رموه بالتطرف والإرهاب والتشويه والتهم الباطلة،ويحاربونهم بكل مايستطيعون من الوسائل،حتى جندوا لهم من عملائهم المنافقين من يخلخلهم من الداخل،فإن الكفار لا يخافون من أصحاب المعاصي وقطاع الصلاة،وأصحاب المظاهرات وملاعب الكرة،وغيرهم من الغثائية،إنما يخافون من أصحاب المساجد والمنابر،ومن أهل التوحيد والسنة،أصحاب قيام الليل وصيام النهار؛لأن هؤلاء هم الذين سيصمدون أمام الأعداء ولا يفرون،وهم الذين سيقفون في وجوه الأعداء ولا يخونون،هؤلاء هم الذين سينصر الله بهم الدين،وهم الذين سيحررون الأقصى،وهم الذين سيقتلون اليهود،وهم الذين سيقاتلون مع المهدي وعيسى عليه السلام ،هؤلاء هم الذين لا يخافون من الموت ،بل يحبون الشهادة في سبيل الله،كما كان سلفهم الصالح،فقد كانت ملوك كسرى وقيصر تهابهم مسيرة شهر،فقد كان خالد بن الوليد رضي الله

عنه يكاتبهم: أما بعد، أسلم تسلم، أو اعقد لنفسك وقومك الذمة وأقر بالجزية، وإلا فلا تلومن إلا نفسك، فقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة"ا.ه فيضطرون إلى المصالحة.

ولما بعث سعد رضي الله عنه ربعي بن عامر إلى كسرى ليوصل له الرسالة التي جاءوا من أجلها، فجاء ربعي ودخل على كسرى، فاتجه إليه القادة من أجل أن يرعبوه، لكن ربعي بن عامر دخل غير آبه بهم، أتى إلى كرسي كسرى أو سريره وربط فرسه وجلس بجانبه، فصرخ به الحاشية وقالوا له: انزل، قال: لا، فقال كسرى: اتركوه، ثم قال بلهجة وغلظة المتكبرين: يا أعرابي! سأعطي كل واحد منكم عشرة دنانير وتعودون إلى الصحراء التي جئتم منها، فإني أعلم أنه ما جاء بكم من الصحراء إلا الجوع؟ قال: يا هذا! إن الله عز وجل ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، وجئنا لنخرج الناس من جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة. أيها الملك! بيننا وبينك أمور ثلاثة: إما أن تدخل في دين الله، وإما أن تدفع الجزية صاغرا، وإما السيف"ا.ه

هذه هي العزة عزة الدين وربي،لم يهابوا ذلك الرجل العظيم في زمنه،ولم يسل لعابهم على ماعرض عليهم من أموال كما يحصل لكثير من الناس هذه الأيام.

أولئك آبائي فجئني بمثلهم *** إذا جمعتنا يا جرير المجامعُ.

وقال آخر:

فتشبهوا إلم تكونوا مثلهم *** إن التشبه بالكرام فلاح

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ليخرج الناس من الظلمات إلى النور وكفى بالله شهيدا

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقرارا به وتوحيدا

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما مزيدا.

أما بعد:

فلا زلنا حول حديث ثوبان نقتطف من ثماره ونستفيد من فوائده،ونستخرج من أسراره،ونفهم معانيه، ونتفطن للإشارات في ألفاظه،ولابأس أن نعيد قرائته ثم نكمل الكلام على ما تبقى من عباراته،فقد روى الإمام أحمد وأبو داود عنثَوْبَانَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " **يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا** ". فَقَالَ قَائِلٌ : وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَ : " **بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ** ". فَقَالَ قَائِلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ ؟ قَالَ : " **حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ** ".

تقدم أن تكلمنا ما تيسر حول هذا الحديث العظيم الذي هو من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم أخبر بها قبل ألف وأربعمائة سنة، حيث أخبر بأشياء واقعية حصلت في زماننا ،وهذا دليل على أن ما أخبر به فهو حق وأن السنة حق وأن الله تكفل بحفظها كما تكفل بحفظ القرآن،وقد وصلت إلينا السنة كما وصل إلينا القرآن،وهما محفوظان مادام الليل والنهار،إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها،فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأشياء كثيرة فحصلت،وبقيت أشياء كثيرة ستحصل على وفق ما أخبر به عليه الصلاة والسلام،فلا مجال لرد السنة أو تكذيبها،فما صح منها فهو من الدين يجب العمل به،وما لم يصح فليس من الدين فلا يعمل به،وقد قيض الله للسنة أئمة أعلام يبينون صحيحها من ضعيفها فلله الحمد والمنة.

عباد الله : ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن الكفار سيتداعون على المسلمين،وذكر من أسباب ذلك الغثائية التي تقدم ذكر معناها،ثم أقسم بعد ذلك أن الله تعالى سيقذف في قلوبهم الوَهْن،وهو الضعف،ثم ذكر سبب هذا الوهن: وهو حب الدنيا وكراهية الموت،وهذا هو سبب الغثائية فيهم،وهذان الأمران سببان رئيسيان للذلة والهوان وتسلط الأعداء،ولنا عبرة بسلفنا الصالح فإنهم لما زهدوا في الدنيا وأحبوا الموت في سبيل الله أعزهم الله ونصرهم على أعدائهم ودانت لهم العرب والعجم وفتحوا مشارق الأرض ومغاربها،وأتتهم الدنيا وهي راغمة،مع قلة ماعندهم من العدة والعتاد،ولكن بشيء وقر في قلوبهم وهو الإيمان والتوحيد،وظهر على جوارحهم وهو العمل الصالح،فلن ننتصر على أعدائنا إلا إذا صرنا مثلهم،أما وكثير من الناس يحبون الدنيا حبا جما ويكرهون الموت وكأنهم سيخلدون في الدنيا، فلن ينتصروا على أعدائهم إلا أن يشاء الله،فالدنيا فتنة ياعباد الله،فكم حذر الله من الانشغال بها والتكاثر منها،حيث قال تعالى: { **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ** }[سورة فاطر : 5]

وروى الترمذي عن كَعْبِ بْنِ عِيَاضٍ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : **" إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً، وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ"**

بل جعل الله الركون إلى الدنيا هلاك فقال سبحانه: : **{ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ }**،فقد روى الترمذي عن أبي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ رضي الله عنه قَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ تَتَأَوَّلُونَ هَذِهِ الْآيَةَ هَذَا التَّأْوِيلَ، وَإِنَّمَا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِينَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ لَمَّا أَعَزَّ اللَّهُ الْإِسْلَامَ وَكَثُرَ نَاصِرُوهُ. فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ سِرًّا دُونَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ أَمْوَالَنَا قَدْ ضَاعَتْ، وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَزَّ الْإِسْلَامَ وَكَثُرَ نَاصِرُوهُ، فَلَوْ أَقَمْنَا فِي أَمْوَالِنَا فَأَصْلَحْنَا مَا ضَاعَ مِنْهَا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرُدُّ عَلَيْنَا مَا قُلْنَا : **{ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ }**، فَكَانَتِ التَّهْلُكَةُ الْإِقَامَةَ عَلَى الْأَمْوَالِ وَإِصْلَاحِهَا، وَتَرْكَنَا الْغَزْوَ، فَمَا زَالَ أَبُو أَيُّوبَ شَاخِصًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى دُفِنَ بِأَرْضِ الرُّومِ.

وهكذا روى أبو داود عن عَنِ ابْنِ عُمَرَ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : **" إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ**

بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ ؛ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ ".

فهذا الحديث يفسر قول النبي صلى الله عليه وسلم حينما سألوه وما الوهَن يارسول الله:**"حب الدنيا وكراهية الموت"**

فالمؤمن الصادق ياعباد الله الواثق بنفسه وعمله لا يبالي بالدنيا ولا يخاف من الموت؛لأنه يعلم أن ما عند الله خير له من هذه الدنيا الزائلة،إنما يخاف من الموت الكافر والعاصي،وقد اختبر الله اليهود بتمني الموت فلم يتمنوه بل ويخافون منه؛ لأنهم يعلمون أنهم إلى الجحيم،ولا مفر لهم من الموت،قال تعالى: **{ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (6) وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (7) قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (8) }**[سورة الجمعة : 6 إلى 8]

فالمؤمن يحب لقاء ربه ويطمئن بوعده،ويرجو ثوابه،ويطمع بمغفرته،والكافر يكره لقاء الله لما قدمته يداه من المعاصي،فقد روى البخاري ومسلم عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : **" مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ ".**

ونلفت انتباه كل مسلم إلى أمر مهم فيه عزهم ونصرهم،وفيه إذلال أعدائهم،ولن تستقيم لهم الدنيا والدين إلا به،ألا وهو الجهاد في سبيل الله،فإن الكفار يخافون منه ويكرهونه،ولن يتركوا المسلمين ويقفوا عند حدهم إلا بجهادهم وقتالهم،فالجهاد فيه قوام الدنيا والدين،وإلا فإن الكفار لا يزالون متسلطين عليهم مذلين لهم ما دام المسلمون مضيعي هذه الشعيرة العظيمة التي هي رأس الأمر وفيه خير لهم كما أخبر الله في كتابه ،ورسوله الكريم في سنته،قال تعالى: **{ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ }**[سورة البقرة : 216]

قال الله وهو أصدق القائلين**{ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ}** وعسى في القرآن متحققة،وقال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل رضي الله

عنه:" **" أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ ؟ "** قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ : **" رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ "**. رواه الترمذي.

فلما ترك المسلمون الجهاد،وخافوا على الدنيا والمناصب،وطلبوا المسالمة من الكفار سلطهم الله عليهم فأذلوهم،واقرأوا التاريخ فإن الكفار والمشركين لم يقبلوا السلام ولا المسالمة،فإنهم لم يردهم إلا السيف،وهم كذلك إلى قيام الساعة،لن يستسلموا إلا بالسيف،ولن يخرج اليهود من الأراضي المقدسة إلا بالقوة والسيف كما أخرجهم النبي صلى الله عليه وسلم وعمر رضي الله عنه من المدينة وخيبر بالقوة كما تعلمون.

وفي الختام نبشركل مسلم أن الكفار لن يتسلطوا على المسلمين تسلطا كاملا فيستبيحوا بيضتهم فإنه لا سبيل لهم إلى ذلك،فقد وعد الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم حتى يكون بعضهم يهلك بعضا،وإنما يحصل التسلط في مكان دون مكان،وفي زمان دون زمان بسبب تخلف المسلمين عن دينهم،فيكون ذلك ابتلاء لهم وتمحيصا لذنوبهم ويتخذ شهداء منهم،ويتميز الصادق من الكاذب،والمؤمن من المنافق قال تعال **{ مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ۗ}**[سورة آل عمران : 179]

ثم تكون العاقبة الحسنة والنصر والرفعة للمسلمين بإذن الله،مهما ملك الكفار من أسلحة مدمرة فإنها لا تكون شيء أمام جندي واحد من جنود الله،فلو أرسل الله عليهم جبريل عليه السلام لأهلكهم،بل لو أرسل الله عليهم البعوض لانهزموا أمامه،فالله عز وجل قادر على نصر المسلمين،ولكن لابد من أسباب ورجوع إلى دينه وتضرع بين يديه،قال سبحانه: **{ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ }**[سورة محمد : 4] **{ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ}**

وروى الإمام أحمد عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : **" لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ بِعِزِّ عَزِيزٍ، أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ**

اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ ". وَكَانَ تَمِيمٌ الدَّارِيُّ يَقُولُ : قَدْ عَرَفْتُ ذَلِكَ فِي أَهْلِ بَيْتِي لَقَدْ أَصَابَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمُ الْخَيْرَ وَالشَّرَفَ وَالْعِزَّ، وَلَقَدْ أَصَابَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ كَافِرًا الذُّلَّ وَالصَّغَارَ وَالْجِزْيَةَ.

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يعز الإسلام والمسلمين،وأن يذل الشرك والمشركين،اللهم عليك بأعدائك أعداء الدين،اللهم عليك بالكفرة والمشركين،اللهم عليك باليهود والنصارى والمنافقين،اللهم انصر الإسلام والمسلمين،واخذل الشرك والمشركين،اللهم انصر إخواننا المجاهدين،اللهم احفظ إخواننا المستضعفين،اللهم رد عنهم كيد الكائدين،ومكر الماكرين،اللهم امكر بمن مكر بالدين،اللهم خيب سيعهم وفشل خططهم ورد كيدهم في نحورهم ،واجعل الدائرة تدور عليهم،يا قوي يامتين،والحمدلله رب العالمين.